الفَضْلاتُ الصوتيَّةُ والأصواتُ غيرُ الإنسانيةِ في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ دلاليةٌ

أ.د. علاء كاظم جاسم
كلية الآداب / جامعة بابل

Vocal segregates and the non-human sounds in the Noble Qur'an / semantic study

Prof. Dr.Alaa Kadhim Jasim
College of Arts /University of Babel
art.alaa.kadhim@uobabylon.edu.iq

Abstract:
This research is concerned with a kind of semantics , it is the meaning of the sounds , Specializes in studying part of it , Which who is concerned with superstructural sounds in the language of the Noble Qur'an, Included two topics: The first one took care of the vocal segregates, such as laughing, crying, and screaming , The second one was concerned with non-human sounds, such as the sounds of animals and tools , And naming some of the names of the Doomsday with their characteristics, In an attempt to perceive the benefits of the Qur'anic expression and the specificity of that expression, given the context, Hence our research titled (Vocal segregates and the non-human sounds in the Noble Qur'an / semantic study)
Key words: Vocal segregates , Non-human sounds , the Noble Qur'an , semantic study.

مُلَخَّصُ البحْث :
يعنى هذا البحث بنوع من أنواع الدلالة، وهي الدلالة الصوتية، واختصَّ بدراسة جانب منها، وهو الذي يعنى بالأصوات فوق التركيبية في لغة القرآن الكريم، واشتمل على مبحثين: اعتنى الأول منه بالفضلات الصوتية، من مثل : الضحك والبكاء والصراخ، واعتنى الثاني منه بالأصوات غير الإنسانية من مثل : أصوات الحيوانات، والآلات، وتسمية بعض أسماء يوم القيامة بصفاتها، محاولا تلمُّس فوائد التعبير القرآني وخصوصيته بلحاظ السياق، ومن هنا كان بحثنا بعنوان (**الفَضْلاتُ الصوتيَّةُ والأصواتُ غيرُ الإنسانيةِ في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ دلاليةٌ**).
كلمات مفتاحية : الفضلات الصوتية، الأصوات غير الإنسانية، القرآن الكريم , دراسة دلالية.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، أما بعد :

فالقرآن الكريم كتابٌ لا تفنى عجائبه، وُضِعتْ ألفاظه من لدى حكيم خبير، فكل كلمة في لغة التنزيل قد وُضعتْ قصدًا، واختص بحثنا بدراسة جانب من الدرس الصوتي الذي يعنى بالأصوات فوق التركيبية، فكان بعنوان (الفَضْلاتُ الصوتيَّةُ والأصواتُ غيرُ الإنسانيةِ في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ دلاليةٌ)، وهو بحث جديدٌ في عنوانه إذ لم أعثر – بحسب ما اطلعت – على مَنْ كتَبَ بهذا العنوان في لغة التنزيل.

وكان منهجي في ورقتي البحثية هذه هو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بذكر الجذر اللغوي للمفردة القرآنية محلّ الدرس أولا، ثم مراقبة معناها في كتب المعجمات العربية في الغالب، مستشهدًا ببعض النماذج من النصوص القرآنية الخاصة بتلك المفردة بلحاظ السياق وظروف النص، ومن ثم رصد أقوال المفسرين وأرباب المعاني في الآية

المراد بيانها، محاولا في الغالب الكشف عن فوائد التعبير القرآني فيها ، وقد قام البحث على تمهيد ومبحثين مذيلة بخاتمة، ذاكرًا بعدها قائمة بروافد البحث.

وأما التمهيد فكان بعنوان (لمحة عن الدلالة الصوتية وأقسامها)، ذكرت فيه مفهوم علم الدلالة، ومناهج دراسة المعنى، ثم بيان مفهوم الدلالة الصوتية ، وأقسام دراسة الصوت اللغوي مبينًا الجانب الذي اختص بموضوع البحث.

وأما المبحث الأول فكان بعنوان (الفصْلاتُ الصوتيةُ أو الأصواتُ غيرُ الكلامية) درستُ فيه بعض الألفاظ التي تصاحبُ الأداءَ الكلاميَّ في الخطاب المنطوق وتشارك في الدلالة، أو يَفهمُ المستمِعُ منها معنى كالضحك والبكاء، والصراخ، وغيرها.

وأما المبحث الثاني فكان بعنوان : (الأصوات غير الإنسانية) التي تُعنى بالأصوات فوق التركيبية ويكون مصدرها غير إنساني، وقد قسمته على ثلاثة أقسام: درست في الأول بعض أصوات الحيوانات، وخصصت الثاني لدراسة بعض الآلات، وكان لتسمية بعض أسماء القيامة بصفاتها نصيبٌ في القسم الثالث، وذكرتُ في الخاتمة أهم النتائج التي توصَّلَ إليها البحث.

مهاد : لمحة عن الدلالة الصوتية وأقسامها :

تعدَّدَ مفهوم علم الدلالة في الدرس اللغوي الحديث، وحاصله أنه : العلمُ الذي يختص بدراسة المعنى ونظرياته، أو ذلك الضرب الذي من شأنه دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى، سواء أكان ذلك الرمز لغويًا وآلته الأصوات اللغوية وغير اللغوية، أو رمزًا غير لغوي كأن تكون علامات على الطريق أو صور اصطلاحية، أو إشارات باليد أو إيماءات بالرأس (ممَّا عُرِف بحركات الجسد أو الحركات الجسمية)، وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي [١]

وتعددت مناهج دراسة المعنى في الدرس اللغوي الحديث فكانت للغويين جملة نظريات من مثل النظرية الإشارية والتصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية السياق، ونظرية الحقول الدلالية وغيرها [٢] .

وتُعدُّ الدلالة الصوتية في ورقتي البحثية قسمًا من أقسام أربعة في أنواع الدلالات عند اللغويين، وهي : الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية [٣].

والدلالة الصوتية – كما يعرفها– الدكتور ابراهيم أنيس – هي" التي تُستمَدُّ من طبيعة بعض الأصوات " [٤]، ويقسم دراسة الصوت اللغوي على قسمين :

القسم الأول هو : علم الأصوات النطقي الذي من شأنه دراسة الجهاز النطقي، ومخارج الأصوات، وكيفية إنتاج الصوت اللغوي، وتقسيم الأصوات على صوامت وصوائت وشبه الصوائت التي تأتلف لتكوُّن كلمات، وتتنظم مع بعضها لتكوُّن جملا [٥].

والقسم الثاني: وهو ما يُعرَف بـــ (علم الأصوات الوظيفي) ، أو ما يسمى بالعناصر الصوتية الثانوية التي تتحقق من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وهو ما يطلقون عليه أيضًا

---

(١) ينظر: علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ١١، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمود عكاشة :٩.

(٢) ينظر: علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ٥٤-١١٣، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٣٠٠-٣١٢.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ : د. ابراهيم أنيس : ٤٤ وما بعدها .

(٤) دلالة الألفاظ : ٤٦.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية : د. ابراهيم أنيس : ٥-٨٠ ، ودراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر : ٩٩-١٣٤، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣٠-١٨٧.

بالصوت فوق التركيبي، وهو ملامح صوتية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوُّعِ معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبة، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية كذلك بالمصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي (١) وتتمثل في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : وهو ما يُعرَفُ بـ " السمات التحبيرية الصوتية، أو ما يسمى بالتطريز الصوتي، وهي التي تصاحب الكلام أو الخطاب المنطوق وتتمثل في النبر، والتنغيم، والوقفات أو السكتات الكلامية أو الفواصل، ومعدل الأداء الكلامي ودرجة الصوت وصفته وقوته " (٢) ، ويطلق عليها فيرث ومدرسته البروسودات أو الظواهر التطريزية (٣) ، وقد أولى اللغويون المحدثون هذه الظواهر الصوتية عناية واضحة فوقفوا عند مصطلحاتها بيانًا وتوظيفًا لغويًا (٤)، وعلى العموم فهذه الظواهر الصوتية لا علاقة لها بموضوع البحث.

النوع الثاني : الفضلات الصوتية أو الأصوات غير الكلامية.

النوع الثالث : الأصوات غير الإنسانية (٥).

وسيكون بحثنا متعلقًا في النوعين الثاني والثالث باستظهار البُعد الدلالي فيهما في القرآن الكريم، بلحاظ القرائن السياقية معرجًا على خصوصية التعبير القرآني فيهما.

المبحث الأول

الفضْلات الصوتيةُ أو الأصواتُ غيرُ الكلامية

الفضلات الصوتية أو الأصوات غير الكلامية : وهي الأصواتُ التي تصاحبُ الأداءَ الكلاميَّ في الخطاب المنطوق وتشارك في الدلالة، أو يَفهمُ المستمِعُ منها معنى، ومن مصاديقها : الضحك، والبكاء، والصراخ، والسعال، والنحنحة، والتأوه، وغير ذلك من الأصوات (٦).

وقد حفل القرآن الكريم ببعض هذه الفضلات الصوتية التي رافقت الأداء الكلامي، فتركت أثرها في المستمعين، وكان لها دورٌ في التواصل – بلحاظ القرائن السياقية– في المسرح اللغوي، نذكر منها – مَيْلًا للاختصار – ما يلي :

ضحك :

الضَّحِكُ في الدرس المعجمي هو : " انبساطُ الوجه وتكشّر الأسنان من سرور النّفس، ولظهور الأسنان عنده سمّيت مقدّمات الأسنان الضَّوَاحِكِ. واستعير الضَّحِكُ للسّخرية، فقيل: ضَحِكْتُ منه " (٧) ، وبيّن ابن عاشور في (التحرير والتنوير) كيفيته فهو : " كَيْفِيَّةٌ فِي الْفَمِ تَتَمَدَّدَ مِنْهَا الشَّفَتَانِ وَرُبَّمَا أَسْفَرَتَا عَنِ الْأَسْنَانِ وَهِيَ كَيْفِيَّةٌ تَعْرِضُ عِنْدَ السُّرُورِ وَالتَّعَجُّبِ مِنَ الْحُسْنِ " (٨) .

---

(١) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمود عكاشة :١٨–١٩ ، والدلالة الصوتية في اللغة العربية : ٤٩.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ١٩–٢٠ .

(٣) يُنظر : الدلالة اللغوية عند العرب : د. عبد الكريم مجاهد :١٧٠.

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية : د. ابراهيم أنيس :٨٠–١٠٦ ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٢٢٤–٢٢٦.

(٥) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٢٠.

(٦) ينظر : م.ن : ص.ن.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن : ٥٠١ مادة (ضحك).

(٨) التحرير والتنوير :٢٨٢/١٠.

ومنه قوله تعالى في حديثه عن مشركي قريش : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩-٣٠].

وكان لسياق الموقف المتمثل بأسباب النزول أثره في إيضاح تلك الفضلة الصوتية، فقد أُثِر بأنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا من كُفَّارَ قُرَيْشٍ هم أبو جَهْلٍ وَالْوَلِيد بْن الْمُغِيرَةِ وَالْعَاص بْن وَائِلٍ، وَأَصْحَابهُمْ مِنْ مُتْرَفِي مَكَّةَ، كانُوا يَضْحَكُونَ استهزاء مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّارٍ وَخِبَابٍ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَأَصْحَابِهِمْ [١]، والملاحظ أنَّ النص القرآني قد استعمل الضحك بصيغة الفعل المضارع (يَضْحَكُونَ) للدلالة على دوام هذه الفِعلةِ واستمرارها عند مشركي قريش.

فدلالة الضحك في الآية هو الاستهزاء، فضلة صوتية غير كلامية، وقد عُضِّد هذا الاستهزاء بحركات الجسد المتمثلة بقوله : (يتغامزون)، وهي من متممات حركة العينين، و " أصل الغَمْزِ: الإشارة بالجفن أو اليد طلبا إلى ما فيه معاب، ومنه قيل: ما في فلان غَمِيزَةٌ ، أي: نقيصة يشار بها إليه " [٢]، والْغَمْزُ في الآية : الْإِشَارَةُ بِالْجَفْنِ والحاجب، والمعنى: يشيرون إِلَيْهِمْ بِالْأَعْيُنِ اسْتِهْزَاءً [٣]، وحركات الجسد : هي حركات تُصاحبُ الكلامَ أو تسدُّ مسده في بعض الأحيان، من مثل : حركات اليد والأصابع والعيون والشفتين، وقد تختلف من لغة الى أخرى، وقد تكون حركات ذات معان موحدة يشترك فيها الناس على اختلاف لغاتهم [٤].

ونطالع في القرآن الكريم أسلوبًا حواريا رائعًا بين نبي الله سليمان (عليه السلام) وبين النملة، ويظهر هذا جليا حين سار النبي وجنوده فوصلوا وادي النمل، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ [النمل : ١٨-١٩].

فقد جاءت الآية بلفظ (ادْخُلوا) كلفظ ما يَعْقِل، اذ يقال للناس وللملائكة والجن: ادخلوا ، فإذا ذكرتَ النملَ قلت: قَدْ دَخَلْنَ وَدَخَلَتْ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إلا أَنَّ النمل ههنا قد أُجْرِيَ مَجْرَى الآدَمِيينَ حين نطق كما ينطق الآدَمِيونَ [٥].

والفضلة الصوتية غير الكلامية هو الضحك في قوله تعالى : (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا) ويتوقف ذلك على التوجيه الإعرابي لكلمة (ضاحكًا)، فهي إما أنْ تكون حالا مؤكدة ؛ **لأن تبسَّمَ بمعنى : (ضحِكَ)** ؛ لأن أكثرَ ضحِكِ الأنبياءِ (عليهم السلام) التبسُّم[٦]، وإما أن تكون حالا مقدَّرة، والمعنى: تبسَّم شارعًا في الضحك وآخذا فيه ؛ لِأَنَّ الضَّحِكَ يَسْتَغْرِقُ التَّبَسُّمَ، وَهُوَ أَوَّلُه ويكون من **دون صوت**، وَأما الضَّحِكُ فهو عِبَارَةٌ عَنْ الِابْتِدَاءِ وَالِانْتِهَاءِ، ويكون **بصوت خفي**، ويَقْتَضِي مَزِيدًا عَلَى التَّبَسُّمِ، وكذلك ضحك الأنبياء (عليهم السلام) [٧]، كَمَا وَرَدَ فِي صِفَةِ ضَحِكِ نبينا محمد (ﷺ) أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّبَسُّمِ، وَأَمَّا الْقَهْقَهَةُ فَلَا تَكُونُ لِلْأَنْبِيَاءِ [٨].

---

(١) يُنظر : الكشف والبيان :١٠/ ١٥٧، والكشاف : ٤/ ٧٢٤.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٤ مادة (غمز).
(٣) يُنظر : معالم التنزيل : ٢٢٧/٥.
(٤) يُنظر : معجم علم الأصوات : د. محمد علي الخولي : ٦٧.
(٥) يُنظر : معاني القرآن وإعرابه : ١١٢/٤.
(٦) يُنظر : معاني القرآن وإعرابه : ١١٢/٤ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٠٠٦/٢.
(٧) يُنظر : معالم التنزيل : ٤٩٥/٣، والكشاف : ٣٥٦/٣، والجامع لأحكام القرآن : ١٧٥/١٣.
(٨) يُنظر : التحرير والتنوير : ٢٤٣/١٩.

وأما الأثر الدلالي من تبسُّمِ النبي سليمان وضحكه من قولها فهو **التعجُّبُ من حذرها واهتدائها لمصالحها** [١]، وقد ورد في (التحرير والتنوير) : " وَإِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ أَنَّهَا عَرَفَتِ اسْمَهُ وَأَنَّهَا قَالَتْ: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَوَسَمَتْهُ وَجُنْدَهُ بِالصَّلَاحِ وَالرَّأْفَةِ وَأَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ مَا فِيهِ رُوحٌ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ، وَهَذَا تَنْوِيهٌ بِرَأْفَتِهِ وعدله الشَّامِل لكل مَخْلُوقٍ لَا فَسَادَ مِنْهُ أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى نَمْلَةٍ لِيَعْلَمَ شَرَفَ الْعَدْلِ وَلَا يَحْتَقِرَ مَوَاضِعَهُ، وَأَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ إِذَا عَدَلَ سَرَى عَدْلُهُ فِي سَائِرِ الْأَشْيَاءِ وَظَهَرَتْ آثَارُهُ فِيهَا حَتَّى كَأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَ مَا لَا إِدْرَاكَ لَهُ " [٢]

بكى :

البكاء من الفضلات الصوتية أو الأصوات غير الكلامية التي يفهم منها معنى بلحاظ القرائن السياقية،

والبُكا في الدرس المعجمي، يُمَدُّ ويُقْصَرُ " فإذا مددتَ أردتَ الصوتَ الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصَرْتَ أردت الدموعَ وخروجها " [٣] ، ومن هنا فالبكاء ممدودًا " سيلان الدمع عن حُزْنٍ وعويل " [٤]، وهو " كَيْفِيَّةٌ فِي الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ تَنْقَبِضُ بِهَا الْوَجْنَتَانِ وَالْأَسَارِيرُ وَالْأَنْفُ. وَيَسِيلُ الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ، وَذَلِكَ يَعْرِضُ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْغَلَبِ " [٥].

ومن البكاء فضلة صوتية في التنزيل الكريم في سياق الحديث عن الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من يهود ونصارى من قبل نزول الفرقان [٦]، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء :١٠٧-١٠٩]

فقوله (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) : أي : يسقطون، ويقعون عَلَى الوجوه يبكون، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين ؛ لأنّ الساجدَ أول ما يلقى به الأرض من وجهه هو الذقن، وقد يقال : إنَّ المعنى الظاهر أن يقال : خرَّ على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام هنا ؟ والجواب : أنَّ اللام هنا للاختصاص، فكأنك جعلتَ الذقن والوجه مختصا به، **وفي الآية مُبَالَغَةٌ فِي صِفَتِهِمْ وَمَدْحٌ لَهُمْ**، وَحُقَّ لِكُلِّ مَنْ تَوَسَّمَ بِالْعِلْمِ وَحَصَلَ مِنْهُ شَيْئًا أَنْ يَجْرِيَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، **فَيَخْشَعَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَيَتَوَاضَعَ وَيَذِلَّ** [٧].

وفي ما تقدم تكرير معنوي في قوله: (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّدًا)، وقوله: (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ)، فقد كرر الخرور للذقن ؛ لاختلاف الحالين، فالأول: خرورهم في حال كونهم **ساجدين**، والثاني: خرورهم في حال كونهم **باكين**.

ومن التكرير المعنوي : الإتيان بالحال الأول اسمًا وذلك في قوله: (سُجَّدًا) للدلالة على الاستمرار، ومجيئ الحال الثانية فعلا، وذلك في قوله: (يَبْكُونَ) للدلالة على التجدد والحدوث، **فكأنّ بكاءهم يتجدد بتجدد الأحوال الطارئة، والعظات المتتالية** [٨].

---

(١) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن :١٣ /١٧١.
(٢) التحرير والتنوير : ١٩/٢٤٣.
(٣) الصحاح : ٦/٢٢٨٤ مادة (بكى).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن : ١٤١ مادة (بكى).
(٥) التحرير والتنوير : ١٠/ ٢٨٢.
(٦) ينظر : جامع البيان : ١٧/٥٧٩.
(٧) ينظر : معالم التنزيل : ٣/١٦٧، والكشاف : ٢/٦٩٩-٧٠٠، والجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ٣٤١-٣٤٢.
(٨) ينظر : الكشاف :٢/٧٠٠، وحدائق الروح والريحان : ١٦/٢٧٥.

ومن البكاء فضلة صوتية بقصد التباكي، أي : تكلُّف البكاء ما ورد في قصة يوسف(عليه السلام) حين جاء إخوته أباهم بعد ما ألقوه في غيابة الجب عشاء [١]، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[يوسف: ١٦].

وَالْعِشَاءُ: وَقْتُ غَيْبُوبَةِ الشَّفَقِ الْبَاقِي مِنْ بَقَايَا شُعَاعِ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا، وَالْبُكَاءُ في الحقيقة : خُرُوجُ الدُّمُوعِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالْأَسَفِ وَالْقَهْرِ، وَقَدْ أُطْلِقَ هُنَا عَلَى الْبُكَاءِ الْمُصْطَنَعِ وَهُوَ التَّبَاكِي. وَإِنَّمَا اصْطَنَعُوا الْبُكَاءَ تَمْوِيهًا عَلَى أَبِيهِمْ لِئَلَّا يَظُنَّ بِهِمْ أَنَّهُمُ اغْتَالُوا يُوسُفَ (عليه السلام)[٢].

فقوله : (عِشاءً) منصوب على الظرف، وقوله : (يَبْكُونَ) جملة فعلية في موضع الحال[٣]، وَإِنَّمَا جَاء إخوة يوسف (عليه السلام) وقت العتمة، بقوله : (عشاء) ؛ **لِيَكُونُوا أَقْدَرَ عَلَى الِاعْتِذَارِ فِي الظُّلْمَةِ**، وَلِذَا قِيلَ: لَا تَطْلُبِ الْحَاجَةَ فِي اللَّيْلِ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَلَا تَعْتَذِرْ فِي النَّهَارِ مِنْ ذَنْبٍ فَتَتَلَجْلَجَ فِي الِاعْتِذَارِ [٤] ، **فالبكاء بوصفه أصواتًا غير كلامية** قد ترك أبلغ الأثر في أبيهم، وهو نبي الله يعقوب (عليه السلام) ففزع لبكائهم، وإن كان مصطنعًا ، وهو بذلك قد أتى بثماره لديهم فانعكس فزعًا حركة جسمية عند نبي الله يعقوب، وتصويرُ حالتِهِ تُستشَفُ من قوله تعالى في السياق اللفظي اللاحق : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[يوسف: ١٧].

وقد يكون البكاء والضحك بصيغة الأمر فضلة صوتية أو أصوات غير كلامية، ويراد به الخبر ضربًا من التعاور بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الخبر، ونلحظ ذلك في ضرب آخر مِنْ قَبَائِحِ أعمال المنافقين الَّذِينَ تَخَلَّفُوا – وَالْمُخَلَّفُ الْمَتْرُوكُ مِمَّنْ مَضَى – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وهو فرحهم بالقعود وَكَرَاهَتُهُمُ الْجِهَادَ [٥].

وذلك في قوله تعالى :﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة: ٨٢].

فالْأَمْرُ بِالضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ فِي مَعْنَى الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى: فَسَيَضْحَكُونَ قَلِيلًا وَيَبْكُونَ كَثِيرًا، إِلَّا أَنَّهُ أُخْرِجَ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ **لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ حَتْمٌ لَا يَكُونُ غَيْرُهُ**، وقد رُوِيَ أَنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ يَكُونُونَ فِي النَّارِ عُمْرَ الدُّنْيَا، لَا يَرْقَأُ لَهُمْ دَمْعٌ، وَلَا يَكْتَحِلُونَ بِنَوْمٍ [٦].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) فيه إِشَارَةٌ إِلَى مُدَّةِ الْعُمُرِ فِي الدُّنْيَا، وفي قوله: (وَلْيَبْكُوا كثيرًا) إشارةٌ إلى تأبيد الْخُلُودِ، فَجَاءَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ عَنْ حَالِهِمْ [٧].

وَالدَّلِيلُ عَلَى تلك الحتمية هو السياق اللفظي اللاحق، وهو قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: (جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) وَالمَعْنَى: أَنَّ هؤلاء المنافقين، وَإِنْ فَرِحُوا وَضَحِكُوا فِي كُلِّ عُمُرِهِمْ، فَهَذَا قَلِيلٌ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا قَلِيلَةٌ، وَأَمَّا حُزْنُهُمْ وَبُكَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَكَثِيرٌ ؛ لِأَنَّهُ عِقَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَالْمُنْقَطِعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّائِمِ قَلِيلٌ[٨].

---

(١) ينظر : جامع البيان : ٥٧٧/١٥.
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٦/١٢.
(٣) ينظر : إعراب القرآن : النحاس : ١٩٥/٢.
(٤) ينظر : معالم التنزيل : ٤٨٠/٢، والجامع لأحكام القرآن : ١٤٤/٩.
(٥) ينظر : جامع البيان : ١٤/ ٤٠٣، ومعالم التنزيل : ٣٧٤/٢-٣٧٥، ومفاتيح الغيب :١١٣/١٦.
(٦) ينظر : الكشاف : ٢٩٦/٢.
(٧) ينظر : البحر المحيط : ٤٧٥/٥.
(٨) يُنظر : مفاتيح الغيب : ١٦/ ١١٤.

والمتحصل أنَّ الضَّحِكَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الْفَرَحِ أَوْ أُرِيدَ ضَحِكُهُمْ فَرَحًا ؛ لِاعْتِقَادِهِمْ تَرْوِيجَ حِيلَتِهِمْ عَلَى النَّبِيءِ حين أَذِنَ لَهُمْ بِالتَّخَلُّفِ، وَالْبُكَاءُ في الآية : كِنَايَةٌ عَنْ حُزْنِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَالْأَمْرُ بِالضَّحِكِ وَبِالْبُكَاءِ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِخْبَارِ بِحُصُولِهِمَا قَطْعًا إِذْ جُعِلَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ كما تقدَّم، وقد يكونُ أَمْرَ تَكْوِينٍ مِثْل قَوْلِهِ:﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤٣] (١)، أي : جَعَلَ الله فِيهِمْ حَالَةَ الْمَوْتِ، وَهِيَ وُقُوفُ الْقَلْبِ وَذَهَابُ الْإِدْرَاكِ وَالْإِحْسَاسِ (٢)، **وتَقْتَضِي هذه الْآيَةُ التَّوْبِيخَ وَالْوَعِيدَ، وَتَقْتَضِي لَفْظَةُ (الْمُخَلَّفُونَ) في الآية الذم والتحقير**(٣).

صَرَخَ :

الأصل في الصُرَاخِ الصوت، يُقَالُ: صَرَخَ الرجلُ يَصْرُخُ : إِذَا صَوَّتَ، والصَّرْخةُ: صيحةٌ شديدةٌ عند فزعةٍ أو مصيبة، والصَّريخُ: هو الذي يأتي قومًا يستغيث بهم عند غارةٍ، أو ينعي لهم ميتاً، والمُصْرِخُ: المغيث، والمُسْتَصْرِخُ: المستغيث، تقول : اسْتَصْرَخَني فأَصْرَخْته. والاصْطِراخُ : التَّصارُخ، والصَّريخُ: أيضاً الصارِخُ، وهو المُغيثُ، والمُسْتَغيثُ أيضاً، وهو من الاضداد، والصَّريخُ يكون فَعِيلاً بِمَعْنى مُصْرِخ، مثلُ نذيرٍ بِمَعْنى مُنْذِرٍ، وسميعٍ بِمَعْنى مُسْمِعٍ، ثمَّ تُجُوِّز بِهِ عَن الاستغاثة، إِذ لَا يَخلو مِنْهُ غَالِبا، ثمَّ صَار حَقِيقَة عُرفِيّةً فِيهِ (٤) .

ومنه فضلة صوتية في ذكره (ﷻ) إحدى علامات قدرته في حمله من نجا من ولد آدم في سفينة نوح (عليه السلام)(٥)، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۞ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ ۞ إلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [يس : ٤١-٤٤]

فمعنى حمل الله ذرياتهم في السفينة : أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وإنما ذكر ذرياتهم دونهم ؛ **لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، وأدخل في التعجيب من قدرته**، في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح (٦)، وإن شاء الله أغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفُلك في البحر، ومعنى (فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) أي : **فلا مُغِيث لهم وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ**، يَنْجُونَ مِنَ الْغَرَقِ(٧) .

والفضلة الصوتية في الآية (الصَّرِيخُ) : فَعِيلٌ بِمَعْنَى صَارِخٍ: أَيْ مُسْتَغِيثٍ، وَبِمَعْنَى مُصْرِخٍ: أَيْ مُغِيثٍ ؛ لأن فعيلا من أبنية اسم الفاعل، فمرة يجيء من أصرخ ومرة يجيء من صرخ إذا استغاث، وهي بمعنى مُغِيثٍ هُنَا، أَيْ : فَلَا مُغِيثَ لَهُمْ وَلَا مُعِينَ (٨)

ومن فوائد التعبير القرآني أنه تعالى قد قال: **لا صريخ لهم وَلَمْ يَقُلْ وَلَا مُنْقِذَ لَهُمْ** ؛ " لِأَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْصُرَ لا يشرع في النصرة مَخَافَةَ أَنْ يُغْلَبَ وَيَذْهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ، وَإِنَّمَا يَنْصُرُ وَيُغِيثُ مَنْ يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغِيثَ، فَقَالَ : **لَا صَرِيخَ لَهُمْ**، وَأَمَّا مَنْ لَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُنْقِذَ إِذَا رَأَى مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ فِي ضُرٍّ يَشْرَعُ فِي الْإِنْقَاذِ، وَإِنْ لَمْ يَثِقْ بِنَفْسِهِ فِي الْإِنْقَاذِ وَلَا يَغْلِبْ عَلَى ظَنِّهِ، وَإِنَّمَا يَبْذُلُ الْمَجْهُودَ، فَقَالَ: **وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ وَلَمْ يَقُلْ ولا منقذ لهم** "

---

(١) يُنظر : التحرير والتنوير : ٢٨٢/١٠.

(٢) يُنظر : م.ن : ٤٧٩/٢.

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ٤٧٣/٥.

(٤) يُنظر : العين : ١٥٨/٤ مادة (صرخ)، ومقاييس اللغة :٣٤٨/٣ مادة (صرخ)، وتهذيب اللغة : ٦٣/٧ مادة (صرخ)، والصحاح : ٤٢٦/١ مادة (صرخ).

(٥) يُنظر : جامع البيان : ٥٢١/٢٠.

(٦) يُنظر : الكشاف : :١٨/٤.

(٧) يُنظر : معاني القرآن واعرابه :٢٨٨/٤، ومعالم التنزيل : ١٥/٤.

(٨) يُنظر : المحرر الوجيز :٤٥٥/٤، والبحر المحيط : ٧١/٩، والتحرير والتنوير :٢٩/٢٣.

[١]، ومن أمثلة هذا الضرب أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۞ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ** فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٦-٣٧]

صَيَحَ :

الصَّيْحَةُ: رفع الصّوت، والصيَاحُ صوتُ كُل شَيْءٍ إذا اشتدّ، وَالْوَاحِدَةُ مِنْهُ صَيْحَةٌ، يُقَالُ: لَقِيتُ فُلَانًا قَبْلَ كُلِّ صَيْحٍ وَنَفْرٍ، فَالصَّيْحُ: الصِّيَاحُ، وَالنَّفْرُ: التَّفَرُّقُ. وَمِمَّا يُسْتَعَارُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: صَاحَتِ الشَّجَرَةُ، وَصَاحَ النَّبْتُ، إِذَا طَالَ، كَأَنَّهُ لَمَّا طَالَ وَارْتَفَعَ جُعِلَ طُولُهُ كَالصِّيَاحِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الصَّائِحِ، وأصله: **تشقيق الصّوت**، من قولهم: انْصَاحَ الخشبُ، أو الثّوب : إذا انشقّ، فسمع منه صوت، ويقال : صِيحَ الثّوبُ إذا انشقّ كذلك، ويقال: بأرض فلان شجر قد صَاحَ: إذا طال فتبيّن للنّاظر لطوله، ودلّ على نفسه دلالة الصَّائِحِ على نفسه بصوته [٢].

ومن لطائف التعبير القرآني ورود تركيب (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) مرتين في سورة (يس) فضلةً صوتية أو أصواتًا غير كلامية.

ونجدها في المرة الأولى في سياق ما أنزله الله (ﷻ) من عذاب وهلاك على قوم حبيب النجار وهم أهل أنطاكية في قتلهم إياه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم [٣] ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس : ٢٨-٢٩].

هذه مخاطبة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيها توعُّدٌ لقريش إِذْ هُمُ الْمَضْرُوبُ لَهُمُ الْمَثَلُ، أي: يُنزل بهم من عذاب الله ما نزل بقوم حبيب النجار، فنفى الله (ﷻ) ما أنزل على هؤلاء القوم مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ كالحجارة والغرق والريح وغير ذلك، وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك، وما كنا نفعله بغيرك ؛ وفي الآية **إِشَارَةٌ إِلَى هَلَاكِهِمْ بَعْدَهُ سَرِيعًا عَلَى أَسْهَلِ وَجْهٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى إِرْسَالِ جُنْدٍ يُهْلِكُهُمْ،** بَلْ أُهْلِكُوا بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ فهم كانوا أيسر وأهون من ذلك [٤] .

وتتحصَّل تلك السرعة من مَجيء «إِذَا» الْفُجَائِيَّة فِي الْجُمْلَةِ الْمُفَرَّعَةِ عَلَى(إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً) ؛ لِإِفَادَةِ سُرْعَةِ الْخُمُودِ إِلَيْهِمْ بِتِلْكَ الصَّيْحَةِ. وَهَذِهِ الصَّيْحَةُ صَاعِقَةٌ، وَالْخُمُودُ في الآية: انْطِفَاءُ النَّارِ، وقد اسْتُعِيرَ لِلْمَوْتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ الْمَلِيئَةِ بِالْقُوَّةِ وَالطُّغْيَانِ، **لِيَتَضَمَّنَ الْكَلَامُ تَشْبِيهَ حَالِ حَيَاتِهِمْ بِشُبُوبِ النَّارِ، وَحَالِ مَوْتِهِمْ بِخُمُودِهَا**[٥]

وقد يحدث اختلافٌ فِي الْكَلِمَةِ بِمَا يُغَيِّرُ صُورَتَهَا فِي الْكِتَابَةِ وَلَا يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا، ومن هنا قرأ ابن مسعود الآيةَ – محلَّ الدرس – قرأها (إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً واحدة) [٦]، وأنكر أبو جعفر النحاس هذه القراءة لمخالفتها رسم المصحف فعُدّتْ شاذةً ؛ ولأنَّ اللغة المعروفة: زقا يزقو: إذا صاح، فكان يجب على هذا أن يكون إلّا زقوة [٧] ،

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٨٦/٢٦.

(٢) يُنظر : العين : ٢٧٠/٣ مادة (صيح)، وتهذيب اللغة :١٠٨/٥مادة (صيح)، ومقاييس اللغة :٣٢٤/٣ مادة (صيح)، ومفردات ألفاظ القرآن : ٤٩٦، مادة (صاح).

(٣) يُنظر : جامع البيان : ٥١٠/٢٠، والكشاف : ١٢/٤.

(٤) يُنظر : المحرر الوجيز : ٤٥٢/٤، ومفاتيح الغيب :٢٦/ ٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠/١٥ .

(٥) يُنظر : البحر المحيط : ٦٠/٩، والتحرير والتنوير :٦/٢٣ .

(٦) يُنظر : غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام : ١٦٠/٣، والإبانة عن معاني القراءات : ٧٦.

(٧) يُنظر : إعراب القرآن : النحاس : : ٢٦٤/٣، والمحتسب : ٢٠٦/٢.

وفي كلامه نظرٌ، فالزَقْيَة والزَقْوة : لغتان، والزُّقاءُ: الصياح، تقول: زقا يزقو، ويزقي زقياً لغتان بالواو والياء، يقال ذلك في صياح الديك ونحوه من الطير، ومنه قراءة ابن مسعود[١].

ونجد هذا التركيب (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) مرة ثانية في سورة (يس) فضلةً صوتية أو أصواتًا غير كلامية تصويرًا لنفخة البعث، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس : ٥١-٥٣].

وقيل في قوله : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) إنها النفخة الأخيرة، وتسمى نفخة البعث [٢]، وفي استعمال صيغة الماضي(نُفِخَ) في المستقبل وهو يوم القيامة **إشارةٌ الى تَحَقُّقِ الْوُقُوعِ** مِثْلُ قوله تعالى :﴿أَتى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [النَّحْل: ١]، وَالْمَعْنَى: وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، أَيْ وَيَنْفُخُ نَافِخٌ فِي الصُّورِ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، وَاسْمُهُ إِسْرَافِيلُ. وَهَذِهِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] [٣]

والصور هو اسم آلة للنفخ، وهو القَرْنُ، وقوله : (فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)، أي : فاذا هم يخرجون مسرعين في السير من قبورهم القبور بطريق الجبر والقهر، لا بطريق الاختيار، و«إِذَا» في الآية لِلْمُفَاجَأَةِ، وَهِيَ حُصُولُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا سَرِيعًا وَبِدُونِ تَهَيُّؤٍ، وَلَفْظُ الرَّبِّ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ، واستعماله في سياق الآية **مضافًا اليهم أَحْسَنُ مَا يَكُونُ للدلالة على الهيبة** ؛ لِأَنَّ مَنْ أَسَاءَ وَاضْطَرَّ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ يَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ أَلَمًا وَأَكْثَرَ نَدَمًا مِنْ غَيْرِهِ، و يُراد بالواو في قوله : (قالوا) الكفارُ، فلما نُفِخَ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة رُدَّتْ أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها [٤].

وقد أخبر الله(ﷻ) **أَنَّ النَّفْخَةَ الأخيرةَ، وهو أمر القيامة والبعث من القبور مَا هو إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً، فإذا الجميع حاضرٌ محشورٌ، فإهلاكهُمْ كان بصيحةٍ، وبعثُهم وَإِحْيَاؤهم كان بصيحة** [٥]، وَفي إِعَادَة حَرْفِ الْمُفَاجَأَةِ (إذا) في قوله : (فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ) إِيمَاءٌ إِلَى حُصُولِ مَضْمُونِ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُقْتَرِنَتَيْنِ بِحَرْفِ الْمُفَاجَأَةِ فِي مِثْلِ **لَمْحِ الْبَصَرِ** في إشارة إلى سرعة تحقق هذا الأمر [٦].

والمتحصل في ورود تركيب الجملة القرآنية : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ مرتين في سورة [يس] فضْلةً صوتيةً أو أصواتًا غير كلامية أنها ليست بتكرار ؛ لِأَن الأولى: هِيَ النفخة الَّتِي **يَمُوت بهَا الْخلق**، وَالثَّانية : هِيَ الَّتِي **يحيا بهَا الْخلق** [٧].

---

(١) يُنظر : العين : ١٩٢/٥ مادة (زقو)، ومعاني القرآن : الفراء :٣٧٥/٢.
(٢) يُنظر : جامع البيان : ٥٣١/٢٠، والكشف والبيان :١٣٠/٨.
(٣) يُنظر : التحرير والتنوير :٣٦/٢٣.
(٤) يُنظر : جامع البيان : ٥٣١/٢٠، ومفاتيح الغيب :٢٩١/٢٦،والجامع لأحكام القرآن :٤٠/١٥-٤١، والتحرير والتنوير : ٣٦/٢٣.
(٥) يُنظر : معاني القرآن واعرابه : ٢٩١/٤، ومعالم التنزيل :١٧/٤، والمحرر الوجيز :٤٥٨/٤.
(٦) يُنظر : التحرير والتنوير :٣٩/٢٣
(٧) يُنظر : أسرار التكرار في القرآن : ٢١١-٢١٢.

جأر :

حكى أهل اللغة : جأرَ الرجلُ، مَقْصُور مَهْمُوز، يجأَر جَأراً وجُؤاراً، إذا صَاح ورفع صَوته مَعَ تضرع واستغاثة، وَهُوَ الجُؤار ، **تشبيها بجؤار الوحشيات**، كالظباء ونحوها من الكلام ما تجاوز موضعه الذي وضع له، والحقيقة ما لم يتجاوز ذلك [١].

ومنه فضلة صوتية غير كلامية في التنزيل تصويرًا عن حال الكفار من قريش [٢] في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۞ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ ﴾ [المؤمنون :٦٤-٦٥]

و(حتى) في الآية هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والمترفون هم أَغْنِيَاؤُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ من المشركين، وقيل في أخذهم بِالْعَذابِ : هُوَ السَّيْفُ يَوْمَ بَدْرٍ، وقيل: يَعْنِي الْجُوعَ حِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ (ﷺ) بِالْقَحْطِ حَتَّى أَكَلُوا الْكِلَابَ وَالْجِيَفَ [٣] .

وَقد خَصَّصَ سُبْحَانَهُ الْمُتْرَفِينَ من المشركين بالذكر مَعَ أَنَّ الْعَذَابَ لاحقٌ بِهِمْ جَمِيعًا، نازلٌ عَلَى مُتْرَفِيهِمْ وَغَيْرِ مُتْرَفِيهِمْ لِبَيَانِ أَنَّهُمْ بَعْدَ النِّعْمَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا صَارُوا عَلَى حَالَةٍ تُخَالِفُهَا، فَانْتَقَلُوا مِنَ النَّعِيمِ التَّامِّ إِلَى الشَّقَاءِ الْخَالِصِ [٤]، وقيل : إنما اختصهم بالذكر عَرَضٌ لأبرز مَثَلٍ فيهم، وهم المنعمون من المشركين، أصحاب المال، والجاه، فهؤلاء إذا أُخذوا، وفُعِل بهم هذا البلاء، كان غيرُهم ممَّن لا مالَ له ولا جاه، أشدَّ خوفًا من لقاء هذا العذاب، الذي ينتظره[٥].

وفي قوله : **(إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) فضلةٌ صوتيةٌ أو أصواتٌ غير كلامية**، والمعنى : **إذا هم يصيحون ويرفعون أصواتهم بالاستغاثة كما يجأر الثور**، وَهُوَ كِنَايَةٌ **عَنْ شِدَّةِ أَلَمِ الْعَذَابِ** بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَبْرًا عَلَيْهِ فَيَصْدُرُ مِنْهُمْ **صُرَاخُ التَّأَوُّهِ وَالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ** [٦].

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ عَلَى **جِهَةِ التَّبْكِيتِ** : (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ)، فَالْقَوْلُ مُضْمَرٌ، أي : يُقالُ لهم : لا تجأروا، وَالْجُمْلَةُ مَسُوقَةٌ لِتَبْكِيتِهِمْ وَإِقْنَاطِهِمْ وَقَطْعِ أَطْمَاعِهِمْ، **وَخُصَّ الْيَوْمُ بِالذِّكْرِ لِلتَّهْوِيلِ**، وَجُمْلَةُ (إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ) : تعليلٌ للنهي على صياحهم، وَالْمَعْنَى: إِنَّكُمْ مِنْ عَذَابِنَا لَا تُمْنَعُونَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ صراخ ولا استغاثة [٧].

---

(١) يُنظر : جمهرة اللغة : ١٠٣٩/٢ مادة (جأر)، والأفعال : السرقسطي :٣٠٦/٢، ومفردات ألفاظ القرآن : ٢١١-٢١٢ مادة (جأر).

(٢) يُنظر : جامع البيان : ٥٠/١٩.

(٣) يُنظر : معالم التنزيل : ٣٦٩/٣، و الكشاف :١٩٣/٣.

(٤) يُنظر : فتح القدير : ٥٨٠/٣.

(٥) يُنظر : التفسير القرآني للقرآن : ٩/ ١١٥٣ .

(٦) يُنظر : جامع البيان :٥٠/١٩، ومفاتيح الغيب : ٣٦٦/٢٦، والتحرير والتنوير : ١٨/ ٨٤.

(٧) يُنظر : معالم التنزيل : ٣٦٩/٣، وفتح القدير : ٥٨٠/٣.

المبحث الثاني : الأصوات غير الإنسانية :

هي ضربٌ من الأصواتِ فوق التركيبية التي يكون مصدرُها غيرُ إنسانيّ، من مثل : أصوات الحيوانات، ومظاهر الطبيعة مثل : أصوات الرياح وأصوات الكهوف، وحفيف الأشجار بالهواء، إضافة الى الأصوات الصناعية من مثل : أصوات الآلات والأجراس والأبواق، وغيرها التي تستعمل للدلالة على معان معينة [١].

وقد تناثر هذا الضرب في القرآن الكريم – كما سيأتي بيانه– مسوقًا بدلالة النص القرآني بلحاظ السياق، يمكن بيان بعضٍ منه كما يلي :

١. أصوات الحيوانات :

زخر القرآن الكريم بذكر الحيوانات في القرآن الكريم، وارتبط بعض منها بأنبياء الله ورسله في القصص القرآني ، فها هو نبي الله سليمان (عليه السلام) قد عُلِّمَ منطق الطير، قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل:١٦]، وقد سَمَّى نبي الله سليمان (عليه السلام) صَوْتَ الطَّيْرِ مَنْطِقًا لِحُصُولِ الْفَهْمِ مِنْهُ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ [٢] ، والاقتصار على ذِكْرِ مَنْطِق الطير إيجازٌ، والمتحقق أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوانات ، كفهمه منطق النمل، وذلك في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ [النمل : ١٨–١٩] [٣].

ومن الأصوات غير الإنسانية تمثيلا لهذا الضرب ما يلي :

خور :

حكى أهل اللغة أنَّ الخُوارَ على زنة (فُعَال) : **صوت الثور، وما اشتد من صوت البقرة والعجل**، تقول: خارَ يَخُورُ خَوْرا وخُواراً : إذا صاح، فالْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ : أَصْل يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ، وقيل إنَّ الخُوَار مختصّ بالبقر، وقد يستعار للبعير [٤].

ومنه ما حدث في قصة موسى (عليه السلام) مع وقومه – وفيهم السامري– من بعد ما فارقهم الى ربه لمناجاته، ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده [٥]، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف :١٤٨].

فقوله : (مِنْ بَعْدِهِ) : أي : من بعد انطلاق موسى (عليه السلام) إلى الجبل للميقات[٦] ، وقد يقال : لِمَ قال الله(ﷻ) : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً)، وَالْمُتَّخِذُ هُوَ السَّامِرِيُّ وَحْدَهُ؟ " وَالْجَوَابُ فِيهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ بَاشَرَهُ كَمَا يُقَالُ: بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا كَذَا وَفَعَلُوا كَذَا وَالْقَائِلُ وَالْفَاعِلُ وَاحِدٌ، وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ كَانُوا مُرِيدِينَ لِاتِّخَاذِهِ رَاضِينَ بِهِ فَكَأَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ " [٧].

---

(١) يُنظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٢٠.

(٢) يُنظر : معاني القرآن : الأخفش : ٤٦٤/٢، وجامع البيان :١٩ / ٤٣٧، ومعالم التنزيل : ٣/ ٤٩٣.

(٣) يُنظر : التحرير والتنوير : ٢٣٧/١٩.

(٤) يُنظر : العين : :٣٠٣/٤ مادة (خور)، والزاهر :٣٩٤/١، ومقاييس اللغة : ٢٢٧/٢ مادة (خور)،ومفردات ألفاظ القرآن :٣٠٢، مادة (خوار).

(٥) يُنظر : جامع البيان : ١١٧/١٣.

(٦) يُنظر : معاني القرآن : النحاس : ٨٠/٣–٨١.

(٧) مفاتيح الغيب :٣٦٨/١٥، ويُنظر : الكشاف :١٥/٢.

و(مِنْ) في قوله : (مِنْ حُلِيِّهِمْ) للتبعيض [١]، والحلي: اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة [٢]، وإنما أضاف الحليّ إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ لأنه كَانَ لَهُمْ عِيدٌ يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ، وَيَسْتَعِيرُونَ مِنَ الْقِبْطِ الْحُلِيَّ وكانت بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية في الإسلام، فَاسْتَعَارُوا حُلِيَّ الْقِبْطِ لِذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ الْقِبْطَ بَقِيَتْ تِلْكَ الْحُلِيُّ فِي أَيْدِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، ويروى أن السَّامِرِيّ حين ذهب موسى إلى المناجاة خاطب هارون(عليه السلام) : بأن بني إسرائيل قد بددوا الحلي الذي استعير من القبط وتصرفوا فيه وأنفقوا منه، فلو جمعته حتى يرى موسى فيه رأيه ؟ فجمعه هارون فلما اجتمع قال للسامري: أنت أولى الناس بأن يختزن عندك، فأخذه السامري وكان صائغا فصاغ منه صورة عجل [٣].

و(العجل) في قوله: (عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) : هو ولد البقرة، والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، فمعنى الجَسَد هنا هو معنى الجثة، و«الخوار» صوت البقر[٤]، **والخوار مثل الجؤار وهو : الصياح**، وقد قرأ الإمام علي (عليه السلام) :(عِجْلًا جَسَدًا لَهُ جُؤَارٌ) بالجيم والهمز، وكلٌّ من لغات العرب [٥] .

والمشهور عند أهل التفسير أن خروج ذلك الصوت من العجل صوتًا غير إنساني كان بحيلة صناعية من السامري بأن جعل فِي بَاطِنِهِ تَجْوِيفًا عَلَى تَقْدِيرٍ مِنَ الضِّيقِ مَخْصُوصٍ، وَاتَّخَذَ لَهُ آلَةً نَافِخَةً خَفِيَّةً، فَإِذَا حُرِّكَتْ آلَةُ النَّفْخِ انْضَغَطَ الْهَوَاءُ فِي بَاطِنِهِ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَضِيقِ [٦] .

واحتجّ الله (ﷻ) **على فساد مقالتهم بأن اتخذوا العجل إلهًا بالسياق اللفظي اللاحق** وهو قوله : (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)، وَتَقْرِيرُه: أَنَّ هَذَا الْعِجْلَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الصَّوَابِ وَ الرُّشْدِ سواء أكان جَمَادًا جسدا أو حَيَوَانًا، وفي كلتا الحالتين سيكون **عَاجِزًا لَا يَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ**[٧].

ضَبَحَ :

ورد في كتب أهل اللغة أنَّ (الضبحَ) تدلُّ على أمرين :الأول: تَغَيُّرُ لَوْنٍ مِنْ فِعْلِ نَارٍ، تقول : ضَبَحْتُ العُودَ بالنار: إذا أحرقت من أعاليه شيئاً، وكذلك حِجارة القَدّاحة إذا طَلَعَتْ كأنَّها محترقة: مَضبُوحة، والثاني : أنها تدل على **صوتِ الثعلب**،يَضْبَحُ ضَبْحًا، وَصَوْتُهُ الضُّبَاحُ، وَهُوَ ضَابِحٌ [٨]

واختلف أهل المعاني في قوله تعالى : ﴿ وَالْعادِياتِ ضَبْحاً ۞ فَالْمُورِياتِ قَدْحاً ۞ فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ [العاديات : ١-٤] ، فعن ابْن عَبَّاس: ان (العاديات) هِيَ الخيلُ، وتَضْبَحُ أي: تَتْحَمُ، والضبيح:

---

(١) يُنظر : التحرير والتنوير : ١٠٩/٩.
(٢) يُنظر : معاني القرآن : النحاس : ٨١/٣، والكشاف :١٥٩/٢.
(٣) يُنظر : الكشف والبيان :٢٨٥/٤، والمحرر الوجيز : ٤٥٥/٢، ومفاتيح الغيب : ٣٦٧/١٥.
(٤) يُنظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٧/٢، ومعاني القرآن : النحاس: : ٨٢/٣.
(٥) يُنظر : معاني القرآن : الأخفش : ٣٣٧/١، والصحاح : ٦٠٧/٢ مادة (جأر)، والكشف والبيان :٢٨٥/٤.
(٦) يُنظر : المحرر الوجيز : ٤٥٥/٢، ومفاتيح الغيب : ٣٦٧/١٥، والتحرير والتنوير :١١٠/٩.
(٧) يُنظر : مفاتيح الغيب : ٣٦٨/١٥.
(٨) يُنظر : العين :١٠٩/٣ مادة (ضبح)، وجمهرة اللغة : ٢٨٠/١مادة (ضبح)، ومقاييس اللغة : ٣٨٥/٣ مادة (ضبح).

أصوات أنفاسها إذا عدون، تسمَعُ من **أفواهِها صوتاً ليس بصهيل ولا حَمْحَمة**، ألم تَرَ إِلَى الْفرس إِذا عدا يَقُول: أح أح تشبيها بالصّبَاحِ، وهو صوت الثّعلب في الأصل فَاسْتُعِيرَ لِلْخَيْلِ [١] .

وورد في (التحرير والتنوير) أَنَّ (الضبح) " اضْطِرَابُ النَّفَسِ الْمُتَرَدِّدِ فِي الْحَنْجَرَةِ دُونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْفَمِ وَهُوَ مِنْ أَصْوَاتِ الْخَيْلِ وَالسِّبَاعِ " [٢]، وعن أبي عُبَيْدَة أَنَّ الضبح مثل الضبع ، يُقَال: ضبح الْفرس، وضبع: إذا حرك ضبعيه فِي مَشْيه، وهُوَ عَدْوٌ دون التَّقْرِيب[٣] .

وعن علي بن أبي طالب(عليه السلام) أَنَّ العاديات هِيَ الْإِبِل، يذهب إِلَى أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان مع المسلمين يَوْمئِذٍ إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، إنّما العاديات من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منّى في الحج [٤].

وبلحاظ المعنيين يختلف تفسير ما بعده " فمن قال: العاديات: الخيل، قال: هي المُوريات قَدْحاً؛ لأَنَّها تُورى النَّار بسنابكها؛ إذا وقعتْ على الحجارة، وهي المغيرات صبحا، ومن قال: العاديات: الإبل، قال: الموريات قدحاً، الرِّجال؛ يُتبيَّن من رأْيهم ومكرهم ما يُشبه النَّارَ الَّتي تورى في القَدْح " [٥] ، والضَّبْحُ من الْخَيل أظهر عِنْد أهل الْعلم[٦].

والمتحصَّلُ أنَّ الله (عزّ وجلّ) قد أقسم بالْعَادِيَّات : جَمْعِ الْعَادِيَةِ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْعَدْوِ، وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ يُطْلَقُ عَلَى سَيْرِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ خَاصَّةً، وهي الْجَارِيَاتُ بِسُرْعَةٍ، والضَّبْحُ: **تَصْوِيتٌ جَهِيرٌ عِنْدَ الْعَدْوِ الشَّدِيدِ**، لَيْسَ بِصَهِيلٍ وَلَا رُغَاءٍ وَلَا نُبَاحٍ، بَلْ هُوَ غَيْرُ الْمُعْتَادِ مِنْ صَوْتِ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَضْبَحُ[٧].

وكان لهذا الصوت غير الإنساني موسيقى تؤذن بالشدة والعنف يناسب الجو الصاخب المعفر الذي تثيره الخيل الضابحة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للغبار [٨] .

٢. أصوات الآلات :

اسم الآلة : اسم مشتق مَصُوغٌ من المصدر الثلاثي، لِما وقع الفعل بواسطته، ويأتي على ثلاثة أوزان قياسية، وهي : (مِفْعَل) كمِحْلَب، و(مِفْعَال) كمِفْتَاح، و(مِفْعَلَة) كمِكْسَحَة، وقد خرج عن القياس ألفاظ منها: مُدْهُن ومُسْعُط، ومُنْخُل، ومُنْصُل، ومُدُق، وقد أتى جامدًا على أوزان شتَّى، لا ضابط لها، كالفأس، والسِّكين[٩] .

---

(١) يُنظر : العين :١١٠/٣ مادة (ضبح)، ومعاني القرآن : الفراء :٢٨٤/٣، وجامع البيان : ٥٥٧/٢٤، ومعاني القرآن وإعرابه :٣٥٣/٥، ومفردات الفاظ القرآن :٥٠١ مادة (ضبح).

(٢) التحرير والتنوير : ٤٩٨/٣٠.

(٣) يُنظر : مجاز القرآن : ٣٠٧/٢، وجمهرة اللغة :٢٨٠/١ مادة (ضبح)، والمحكم والمحيط الأعظم :١٣٧/٣ مادة (ضبح)

(٤) يُنظر :جامع البيان : ٥٥٩/٢٤، وإعراب القرآن : النحاس : ١٧٣/٥.

(٥) الأضداد : أبو بكر الأنباري : ٣٦٣.

(٦) يُنظر : مقاييس اللغة : ٣٨٥/٣، والمحكم والمحيط الأعظم : ١٣٧/٣ مادة (ضبح).

(٧) يُنظر : البحر المحيط :٥٢٦/١٠، وروح المعاني :٤٤١/١٥، والتحرير والتنوير :٤٩٨/٣٠.

(٨) يُنظر : التصوير الفني في القرآن : ١٢٦-١٢٧.

(٩) يُنظر : المفتاح في الصرف :٦١، وشذا العرف : ٩٧.

وقد تقدم ذكر الصور آلة في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١]، " وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ : مَثَلٌ ضُرِبَ لِلْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ بِحَيَاةِ الْأَمْوَاتِ الَّذِي يَعُمُّ سَائِرَ الْأَمْوَاتِ، فَيَحْيَوْنَ بِهِ وَيَحْضُرُونَ لِلْحَشْرِ كَمَا يَحْضُرُ الْجَيْشُ بِنَفْخِ الْأَبْوَاقِ وَدَقِّ الطُّبُولِ " [١] .

ويُعَدُّ **(الناقور)** من أصوات الآلات تمثيلا للأصوات غير الإنسانية يمكن بيانه كما يلي :

فقد ذهب أهل اللغة إلى أنَّ الأصل في (النقر) أنْ يَدُلَّ عَلَى قَرْعِ شَيْءٍ حَتَّى تُهْزَمَ فِيهِ هَزْمَةٌ، ثُمَّ يُتَوَسَّعُ فِيهِ، ومنه المنقار للطائر، والمنقار ما يُنقرُ به الرحى، وهي تلك الحديدة ، ونَقَرْتُ الرَّجُلَ: إذا **صَوَّتَّ له بلسانِكَ**، وذلك بأن تُلْصِقَ لسانَك بنُقْرَةِ حَنَكِكَ [٢] .

ومنه قوله تعالى :﴿ فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر :٨-١٠]، وَالنَّاقُورُ: **الصُّورُ** الَّذِي يَنْفَخُ فِيهِ الْمَلَكُ إِسْرَافِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَنْقُرُ الْعَالَمِينَ بِقَرْعِهِ، وَوَزْنُ النَّاقُور: فَاعُولٌ، وَهُوَ زِنَةٌ لِمَا يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ مِنَ النَّقْرِ، وَهُوَ صَوْتُ اللِّسَانِ مِثْلَ الصَّفِيرِ، **وَالنَّقْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الصَّوْتُ** [٣].

واخْتَلَف أهل المعاني فِي الْوَقْت الَّذِي يُنْقَرُ فِي النَّاقُورِ أهو في النفخة الأولى أم الثانية ؟ فذهب بعضهم إلى أنها أولى النَّفْختين [٤]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: إنَّ (الناقور) هُوَ كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، وَيَعْنِي بِهِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ حين يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ [٥]، وقد فصَّل الرازي – في مفاتيحه– في هذه المسألة [٦] .

ومن ثم وصف ذلك اليوم بقوله : (فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) أي : يَوْمٌ شَدِيدٌ عسير (عَلَى الْكافِرِينَ) الذين كفروا بالله (ﷻ) وَبِأَنْبِيَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ (غَيْرُ يَسِيرٍ)،أَيْ : غَيْرُ سَهْلٍ وَلَا هَيِّنٍ، فأكّدَ هذا العُسْرِ بنفْيِ كلِّ ظلِّ لليُسْرِ فيه، فهو عُسْرٌ كلُّه، عُسْرٌ لا يتخلله يُسْرٌ، ولم يفصِّل الله (ﷻ) أمْرَ هذا العسر، بل ذكره مجمَلًا مجهَلًا يُؤذن بالاختناق والكرب والضيق [٧] .

ومن قضايا التعبير القرآني أنَّ لفظة (الناقور) لم تُستعمَلْ في لغة التنزيل إلا في هذا الموطن [٨] التي يُعبَّرُ بها في بعض المواطن **بالنفخ بالصور**، من مثل قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]، وقوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه : ١٠٢]، فما العلة الدلالية في خصوصية هذا التعبير ؟ والجواب : أنَّ التعبير بـ (الناقور) هنا أشد إيحاء **بشدة الصوت ورنينه** ، فكأنه نقرٌ يصوّت ويدوّي، ومن الثابت أنَّ الصوت الذي **ينقر الآذان** (في الناقور) أشدُ وقْعًا من الصوت الذي **تسمعه الآذان** (في الصور) [٩].

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠٨/٧.
(٢) يُنظر : العين :١٤٤/٥ مادة (نقر)، ومقاييس اللغة :٤٦٨/٥ مادة (نقر)، ومفردات ألفاظ القرآن :٨٢١ مادة (نقر).
(٣) يُنظر : مقاييس اللغة :٤٦٨/٥ مادة (نقر)، والجامع لأحكام القرآن : ٧٠/١٩، والتحرير والتنوير : ٣٠٠/٢٩-٣٠١ .
(٤) يُنظر : معاني القرآن : الفراء: ٢٠١/٣، ومعاني القرآن واعرابه :٢٤٦/٥، وتهذيب اللغة :٩٢/٩ مادة (نقر)، المحكم والمحيط الأعظم :٣٧٢/٦ مادة (نقر).
(٥) يُنظر : جامع البيان : ١٨/٢٣، ومعالم التنزيل في القرآن : ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن : ٧٠/١٩.
(٦) يُنظر : مفاتيح الغيب : ٧٠٢/٣٠-٧٠٣.
(٧) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧٠/١٩، وفي ظلال القرآن : ٣٧٥٥/٦ .
(٨) يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٨١٠.
(٩) يُنظر : في ظلال القرآن : ٣٧٥٥/٦ .

والمتحصَّلُ أنه قد تجسَّد في هذا اللفظ التداخل بين دلالة **اسم الآلة وصيغة المبالغة**، وفي الآية إيحاء في رسم صورة الفزع الأكبر، والهول الشديد، والرعب المفاجئ الذي يحيط بالنفخ بالناقور، وهي معان مشتركة تخص يوم القيامة من ساعة النفير [١].

٣. تسمية بعض أسماء يوم القيامة بصفاتها :

من الأصوات غير الإنسانية تسمية بعض أسماء يوم القيامة بصفاتها، وقد تناثرت هذه الأسماء في لغة التنزيل تصويرًا لشِدّةِ وهَوْلِ ذلك اليوم العظيم، ومنها : الطَّامَّةُ والصَّاخَّة وَالْقَارِعَة وَالرَّاجِفَة [٢]، وهي في واقع الأمر صفات هذا اليوم الأخير، يوم القيامة [٣]، يمكن بيان بعضٍ منها تمثيلا لهذا الضرب كما يلي :

طَمَّ :

تدلُّ الطامة في الأصل عَلَى تَغْطِيَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ حَتَّى يُسَوِّيَهُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ غَيْرَهَا، ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: طَمَّ الْبِئْرُ بِالتُّرَابِ إذا مَلَأَهَا وَسَوَّاهَا وكبسها، وَتقول : جَاء السَّيل فَطَّم على كلّ شَيْء، أَي: عَلاَه، وَمن ثَم قيل: فوقَ كلّ طامَّة طامّةٌ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْبَحْرِ: الطِّمُّ، كَأَنَّهُ طَمَّ الْمَاءُ ذَلِكَ الْقَرَارَ ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ الطَّامَّة [٤].

ويروى عن الْمُبَرِّد: أَنَّ الطَّامَّةَ عِنْدَ الْعَرَبِ الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ، وقد أُخِذَتْ مِنْ قَوْلِهِمْ: طَمَّ الْفَرَسُ طَمِيمًا إِذَا اسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ فِي الْجَرْيِ، وَطَمَّ الْمَاءُ إِذَا مَلَأَ النَّهَرَ كُلَّهُ [٥] ، ومن أمثال العرب قَوْلهم : (جرى الْوَادي فطمَّ على القري)، وهو مَثَلٌ يُضْرب لِلْأَمْرِ الْعَظِيم يَجِيء فَيعم الصَّغِير وَالْكَبِير [٦] .

ومنه قوله تعالى :﴿ فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ مَا سَعى﴾ [النازعات : ٣٤-٣٥].

والمراد بالطامة هي القيامة تطم عَلَى كل شيء، فتغمر ما سواها بعظيم هولها، **وهي الصيْحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة** [٧] ، والعرب إذا عظّمت الشيء وصفته بالطامة [٨].

واختلف أهل المعاني في أَيّ شَيْءٍ هِيَ الطامة الكبرى، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ يُشَاهَدُ فِيهِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَادَةِ مَا يُنْسَى مَعَهُ كُلُّ هَائِلٍ، وَذهب آخرون: **إلى أنها النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي عِنْدَهَا تُحْشَرُ الْخَلَائِقُ إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ**، وَقَالَ فريقٌ آخر: أن الطَّامَّةَ هي اسم لِذَلِكَ الْوَقْتِ الذي ذكره الله تَعَالَى في قَوْلِهِ :﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ مَا سَعى ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى﴾ [النازعات ٣٥-٣٦]، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ السَّاعَةُ هِيَ السَّاعَةَ الَّتِي يُسَاقُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ [٩].

---

(١) يُنظر : دلالة صيغة (فاعول) في القرآن الكريم : ١٢٢-١٢٣ (بحث منشور).

(٢) يُنظر : التحرير والتنوير :٣٠/٩٠.

(٣) يُنظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم :٣٥٣.

(٤) يُنظر : العين : ٧/٤٠٩، مادة (طم)، وتهذيب اللغة : ١٣/٢٠٩، مادة (طم)، ومقاييس اللغة : ٣/٤٠٦، مادة (طم)، ومفردات ألفاظ القرآن : ٥٣٢ مادة (طم).

(٥) يُنظر : الكشف والبيان : ١٠/ ١٢٨، والجامع لأحكام القرآن : ١٩/٢٠٦.

(٦) يُنظر : جمهرة الأمثال : ١/٢٦٠.

(٧) يُنظر : معاني القرآن : الفراء : ٣/٢٣٤، وجامع البيان : ٢٤/٢١١، ومعاني القرآن واعرابه : ٥/٢٨١.

(٨) يُنظر : إعراب القرآن : النحاس : ٥/٩٢.

(٩) يُنظر : الكشف والبيان : ١٠/ ١٢٨، والكشاف : ٤/٦٩٧، ومفاتيح الغيب : ٣١ /٤٨، والبحر المحيط : ١٠/٤٠١.

وثمرة ما تقدم أنَّ وَصْفَ يوم القيامة بِالطَّامَّةِ، **يُؤْذِنُ بِالشِّدَّةِ وَالْهَوْلِ، ثُمَّ بُولِغَ فِي تَشْخِيصِ هَوْلِهَا** بِأَنْ وُصِفَتْ **بِـــ(الْكُبْرَى)**، فَكَانَ هَذَا أَصْرَحَ الْكَلِمَاتِ لِتَصْوِيرِ مَا يقارن هَذِه الْحَادِثَة مِنَ الْأَهْوَالِ [١] ، وقيل : إنَّها وصْفتْ بالكبرى تأكيدًا [٢] ، ولا مانع مِنْ جمْعِ الدلالتين تصويرًا لتلك الحادثة الهائلة.

صخَّ :

حكى الزَّجَّاجُ – كما يروي الرازي في مفاتيحه– أَنَّ أَصْل الصَّخِّ فِي اللُّغَةِ : " **الطَّعْنُ وَالصَّكُّ**، يُقَالُ : صَخَّ رَأْسَهُ بِحَجَرٍ أَيْ: شَدَخَهُ، وَالْغُرَابُ يَصُخُّ بِمِنْقَارِهِ فِي دُبُرِ الْبَعِيرِ أَيْ: يَطْعَنُ، فَمَعْنَى الصَّاخَّةِ الصَّاكَّةِ بِشِدَّةِ صَوْتِهَا لِلْآذَانِ " [٣].

وهو ما ذهب اليه بعض أصحاب المعجمات العربية، فالصّاخّةُ أَصْلٌ **يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ** ، والصّاخَّةُ: القيامةُ، سُمّيتْ بذلك ؛ **لأنّها تَصُخُّ الآذانَ، أي: تُصيبها بصوتٍ** نحو وقْع الصَّخْرة على الصَّخْرةِ، وَيُقَالُ: سمعت صخ الصَّخْرَة وصخيخها إذا ضربتها بِحجر أَو غَيره **فَسمِعت لَهَا صَوتا**، وكل صَوت شَدِيد نَحْو وَقع الصَّخْرَة على الصخر وَمَا أشبهه: صخ [٤]، وورد في مفردات الراغب أن الصَّاخَّة: "**شدّة صوت ذي النّطق**، يقال: صَخَّ يَصِخُّ صَخّاً فهو صَاخٌّ " [٥] .

وذلك في قوله تعالى :﴿ فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس :٣٣–٣٧].

والملاحظ أن الآية – محل الدرس– قد ابتدأت بقوله : (فإذا) داخلة على الفعل الماضي (جاءت)، وَإِذَا جَاءَ (إِذَا) مَعَ الْمَاضِي فهي بمعنى المستقبل [٦] ، وقد تقدم أَنَّ الصَّاخَّةَ: القيامة، تصِخُّ الأسماع أي : تُصِمُّها فلا يسمع إلا ما يدعى فيه لإحيائها، واللفظة في حقيقتها إنما هي لنفخة الصور المشار إليه بقوله :﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [الأنعام/ ٧٣]، ويستعمل هذا اللفظ في الداهية التي يصم نبؤها الآذان لصعوبته، يقال: صخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، **فوصفت النفخة بالصاخة مجازا**، والمشهور **أن المراد بها النفخة الثانية**، فالناس يصخون لها يَفِرُّ منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا فجعلت مستمعه مجازا في الظرف أو الإسناد [٧]، فاذا كانت الصاخة هي النفخة الثانية على المشهور –كما تقدم– فان ذلك يؤكد انها من صفات يوم القيامة حين يقوم الناس لله رب العالمين بعد هذه النفخة [٨]، فصَارَت الصَّاخَّةُ فِي الْقُرْآنِ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ عَلَى حَادِثَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَانْتِهَاءِ هَذَا الْعَالَمِ، وَتَحْصُلُ فيه صَيْحَاتٌ مِنْهَا نَفْخَةُ الصُّورِ الَّتِي تُبْعَثُ عِنْدَهَا النَّاسُ [٩] .

---

(١) يُنظر : التحرير والتنوير :٣٠/٩٠ .
(٢) يُنظر : حدائق الروح والريحان :٣١/٩٠.
(٣) مفاتيح الغيب : ٣١ /٦١، ويُنظر : جمهرة اللغة :١/١٠٥ مادة (صخخ)، والجامع لأحكام القرآن : ١٩/٢٢٤.
(٤) يُنظر : العين : ٤/١٣٥ مادة (صخ)، وديوان الأدب : ٣/٥٩، ومقاييس اللغة : ٣/٢٨١–٢٨٢ مادة (صخ) .
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٦ مادة (صخ).
(٦) يُنظر : معالم التنزيل : ١/١٠١.
(٧) يُنظر : معاني القرآن واعرابه :٥/٢٨٧، والمحرر الوجيز :٥/٤٤٠، والكشاف :٤/٧٠٥، وروح المعاني : ١٥/٢٥١.
(٨) يُنظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم :٣٦٧.
(٩) يُنظر : التحرير والتنوير : ٣٠/١٣٤–١٣٥.

ثم ذكر الله تعالى فرار المرْءِ من القوم الذين معهودهم أنْ لا يفر عنهم في الشدائد، ورتَّبَهُم (ﷻ) الأول فالأول محبَّةً وحُنُوًا، فبدأ بالأخ، ثم بالأبوين ؛ لأنهما أقربُ منه، ثم بالصاحبةِ والبنين ؛ لأنهم أقربُ وأحبُّ، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه، وقيل: يفرّ منهم حذرًا من مطالبتهم بالتبعات [١] .

والصاخَّةُ لفظٌ ذو جرسٍ عنيفٍ نافِذٍ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يمهّدُ بهذا الجرْس العنيف للمشهد الذي يليه، مشهد المرء يفرُّ وينسلخُ من ألصق الناس به الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم، ولكن هذه الصاخة **تمزِّق هذه الروابط تمزيقًا، وتقطع تلك الوشائج تقطيعًا** [٢].

ومن لطائف التعبير القرآني، وخصوصية الاستعمال ما قد يسأله السائل عن عِلّةِ تسمية ذلك اليوم بالطّامة الكبرى في قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى ﴾ [النازعات : ٣٤] ، وعلة تسميته بالصّاخّة، في سورة عبس في قوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[سورة عبس :٣٣]، وهل يَصلحُ أن تُستعمَلَ الأولى مكان الثانية والثانية مكان الأولى؟

والجواب أن الله (ﷻ) لما ذكر في سورة النازعات أهوال يوم القيامة:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات : ٦-٧].. الآيات، ثم ذكره خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، ناسب تعظيم أمر الساعة، وجعلها الطامة التي تطم على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة، وأما الصاخة الواردة في سورة عبس فقد تقدمتها ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس :١٧] الى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس :٢١]، فناسب ذلك ذكْر الصيحةِ الناشِرةِ للموتى من القبور، وهي (الصاخة) ومعناه: الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان [٣]، وقيل : " وخُصّت النازعات بالطَّامة ؛ لأَنَّ الطَّم قبل الصّخ، والفزع قبل الصّوت، فكانت هي السّابقة، وخُصّت (عبس) بالصّاخَّة؛ لأَنَّها بعدها، وهي اللاَّحقة " [٤].

والملاحظ حين مراقبة لغة التنزيل أن جذر لفظتي (الطامة) [٥]، و(الصاخة) [٦] ومشتقاتهما **لم يردا في لغة التنزيل إلا مرة واحدة في الآيتين المتقدمتين** وصفًا لذلك المشهد القرآني الشديد، ولعلَّ في ذلك إشارة الى أن حدوث ذلك الطم الذي يعلو فيغمر ما سواه، وحدوث صخّ الآذان ذاك، هما مشهدان **لا يتكرران بالكيفية نفسها في لغة التنزيل، فناسب ذكر اللفظتين مرة واحدة تبعًا لذلك**، والله أعلم.

---

(١) يُنظر : الكشاف : ٤/٧٠٥، والمحرر الوجيز : ٥/٤٤٠ .

(٢) يُنظر : في ظلال القرآن : ٦/٣٨٣٤.

(٣) يُنظر : درة التنزيل : ١/١٣٣١-١٣٣٣، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني : ٣٧٣.

(٤) بصائر ذوي التمييز :١/٤٩٩-٥٠٠.

(٥) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٥٢٦.

(٦) ينظر : م.ن : ٤٩٥ .

الخاتمة

بدأت عملي هذا بالحمد والثناء على الله (ﷻ)، وأختمه بالشكر له تعالى شكراً يليق بعظمته على عطائه وتوفيقه، إذ يسَّر لي إنجاز ما عزمت عليه، وحقَّق لي ما صبوت إليه، وقد توصل البحث إلى جملة نتائجَ نذكر منها ما يأتي:

- تناثرتْ أقوالُ اللغويين وأهل التفسير في التعبير عن الفضلات الصوتية والأصوات غير الإنسانية في مدوناتهم، ولم نجد مَنْ كَتَبَ في هذا العنوان بحسبِ اطِّلاعِنا.
- تُعَدُّ الفضلات الصوتية والأصوات غير الإنسانية من الأصوات فوق التركيبية التي تندرج بما يُعرف بـ (علم الأصوات الوظيفي)، إذ لا نكاد أنْ نعثر على أثر كبير لمخارج الأصوات وصفاتها فيهما، يقابله (علم الأصوات النطقي) الذي يتخذ من جهاز النطق وتشريحه ومخارج الأصوات وصفاتها ميادين للبحث في هذا العلم.
- تبين أن الفضلات الصوتية الواردة في لغة التنزيل كالضحك، والبكاء، والصياح هي من الأصوات الطبيعية التي يكون منشؤها من الغرائز والطبائع، والغالب فيها أنها قد وردت في سياق التهويل والشدة.
- قد يأتي البكاء فضلة صوتية بقصد التباكي، أي: تكلُّف البكاء بلحاظ القرائن السياقية، وقد يكون البكاء والضحك بصيغة الأمر فضلة صوتية أو أصوات غير كلامية، ويراد به الخبر ضربًا من التعاور بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الخبر نزولا لدلالة النص القرآني.
- لم يخلُ البحث مِنْ ذِكْرِ بعضِ فوائدِ التعبير القرآني، وخصوصية الاستعمال في لغة التنزيل، وقد تتشابه بعض التراكيب القرآنية فيُظَنُّ أنها ضرْبٌ من التكرار، والمتَحَقَّقُ أنها ليست كذلك بدلالة السياق، والمسرح اللغوي للخطاب.
- استعار القرآن الكريم بعض الألفاظ الدالة على الصوت ذات الأصول الدالة على البهائم كالضباء والوحوش أو ما لا بالَ له كالشجر والنبات للتعبير عن الفضلات الصوتية والأصوات غير الإنسانية **إمعانًا في ذلة المخالفين لأوامر الله (ﷻ).**
- قيل عن الطامة والصاخة: إنهما من أسماء يوم القيامة، والأوفق أنهما من صفاتها تصويرًا لشدة ذلك اليوم وأهواله، **والملاحظ أن الجذر اللغوي ومشتقاته لم يُذكرْ إلا مرة واحدة في لغة التنزيل، في إشارة إلى حدوث تلك الواقعة وكيفيتها مرة واحدة فناسب هذا الاستعمال اليتيم ذلك الحدوث**، والله أعلم.

روافد البحث

- القرآن الكريم

أولا : الكتب المطبوعة :

- الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ)، تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني (ت : نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د.ت.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، د.ت.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.

- الأفعال، أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت: بعد ٤٠٠ هـ)، تحقيق : حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر، ١٩٧٥ م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق : محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١١م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم /دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤ م.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، ضبطه وكتب هوامشه د. أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٨م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ) . تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الهرري ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،ط١، ٢٠٠١ م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى،ط١،٢٠٠١ م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، مصر، ط٥، ١٩٨٤م.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، د.ت.
- الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر، عمان، ١٩٨٥م.
- ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، (ت: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- شذا العرف في فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملاوي، ضبطه وشرحه د. محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ٢٠٠٩ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)،تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط١، ١٩٦٤ م.
- فتح القدير ،محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،ط١، ١٤١٤ هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحموي (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء – المنصورة، ط١، ١٩٩٠ م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٢ م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤٢٢ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق : أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، د.ت.
- معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، منشورات جامعة الرياض، ط١، ١٩٨٢م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

ثانياً : البحوث المنشورة :

- دلالة صيغة (فاعول) في القرآن الكريم، رجاء عبد الرحيم خاشع، مجلة دراسات تربوية، العدد الثامن عشر، نيسان، ٢٠١٢م.

Research References

• The Holy Quran

First: printed books:

• Al-Ibana on the Meanings of the Readings, Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Al-Qaisi (T.: ٤٣٧ AH), investigation: Dr. Abdel Fattah Ismail Shalaby, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, d.

• The secrets of repetition in the Qur'an called the proof in directing the similarities of the Qur'an because of the argument and statement it contains, Abu al-Qasim Mahmoud bin Hamza al-Kirmani (died: about ٥٠٥ AH), investigation by: Abdul Qadir Ahmed Atta, review and commentary: Ahmed Abdul-Tawab Awad, Dar Al-Fadilah, Dr. T.

•Linguistic sounds, d. Ibrahim Anis, Nahdet Misr Press, d.

• The Expression of the Qur'an, Abu Jaafar Ahmed bin Muhammad Al-Nahhas (T.: 338 AH), put his footnotes and commented on it: Abdel Moneim Khalil Ibrahim, Publications of Muhammad Ali Beydoun, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1, 1421 AH.

• Al-Afaal, Abu Othman Saeed bin Muhammad Al-Saraqusti (died: after 400 AH), investigation: Hussein Muhammad Muhammad Sharaf, revised by: Muhammad Mahdi Allam, Dar Al-Sha`b Foundation, Cairo, Egypt, 1975 AD.

• Insights of People with Discrimination in the Sects of the Dear Book, Majd Al-Din Abu Taher Al-Fayrouzabadi (T.: 817 AH), investigation: Muhammad Ali Al-Najjar, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, d.T.

• Linguistic analysis in the light of semantics, a study of phonetic, morphological, grammatical and lexical semantics, d. Mahmoud Okasha, Universities Publishing House, Cairo, 2011.

The semantic development between the language of pre-Islamic poetry and the language of the Noble Qur'an / a comparative semantic study, Odeh Khalil Abu Odeh, Al-Manar Library, Jordan, 1, 1985 AD.

• Qur'anic Interpretation of the Qur'an, Abd al-Karim Younis al-Khatib (died: after 1390 AH), Dar al-Fikr al-Arabi - Cairo, d.

• The Collector of the Rulings of the Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Qurtubi (T.: 671 AH), investigation: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, Dar Al-Kutub Al-Masryah - Cairo, 2nd edition, 1964 AD.

• The Gathering of Proverbs, Abu Hilal Al-Hassan Bin Abdullah Al-Askari (T.: about 395 AH), seized it and wrote its margins d. Ahmad Abd al-Salam, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 1988 AD.

• Jamhrat al-Lughah, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid (died: 321 AH) - investigation by: Ramzi Mounir Baalbaki, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, 1, 1987 AD.

• Gardens of the Spirit and the Basil in Rawabi Science of the Qur'an, Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Harari, supervision and review: Dr. Hashem Muhammad Ali bin Hussein Mahdi, Dar Touq Al-Najat, Beirut - Lebanon, 1, 2001 AD.

• Durrat Al-Tanzil wa Al-Ta'wil Al-Ta'wil, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah, known as Al-Khatib Al-Iskaabi (d.: 420 AH), study, investigation and commentary: Dr. Muhammad Mustafa Aydin, Umm Al-Qura University, 1, 2001 AD.
• Semantics of the words, d. Ibrahim Anis, Anglo Library, Egypt, 5th edition, 1984 AD.
• Phonetic connotation in the Arabic language, d. Saleh Salim Abdel Qader Al-Fakhri, Modern Arab Office, Alexandria, d.
• The linguistic significance of the Arabs, d. Abdul Karim Mujahid, Al-Diaa Publishing House, Amman, 1985 AD.
• Diwan of Literature, Abu Ibrahim Ishaq bin Ibrahim Al-Farabi, (T.: 350 AH), investigation: Dr. Ahmed Mukhtar Omar, Dar Al-Sha`b Foundation for Press, Printing and Publishing, Cairo, 2003 AD.
• Al-Zahir in the Meanings of People's Words, Abu Bakr Muhammad bin Al-Qasim Al-Anbari (T.: 328 AH), investigation: Dr. Hatem Saleh Al-Damen, Al-Resala Foundation - Beirut, 1, 1992 AD.
• Shatha Al-Urf in the Art of Exchange, Sheikh Ahmed Al-Hamalawy, tuned and explained by Dr. Muhammad Ahmad Qassem, The Modern Library, Saida - Beirut, 2009.
• Al-Sahih Taj Al-Lughah and Sahih Al-Arabiya, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari (T.: 393 AH), investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, 4th edition, 1987 AD.
• Semantics, d. Ahmed Mukhtar Omar, The World of Books, Cairo, 5th edition, 1998 AD.
• Linguistics, an introduction to the Arab reader, d. Mahoud Al-Saran, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, d.
• Al-Ain, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (T.: 175 AH), investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal Library and Library, Dr. T.
• Gharib Al-Hadith, Abu Obaid Al-Qasim bin Salam (T.: 224 AH), investigation: Dr. Muhammad Abd al-Mu`id Khan, Ottoman Encyclopedia Press, Hyderabad - Deccan, 1, 1964 AD.
Fath al-Qadir, Muhammad bin Ali al-Shawkani (died: 1250 AH), Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib - Damascus, Beirut, 1, 1414 AH.
• The Scout for the Realities of Mysteries of Revelation, Abu al-Qasim Jarallah al-Zamakhshari (T.: 538 AH), Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 3rd edition, 1407 AH.
• Uncovering the Meanings in Al-Mustahib Min Al-Mathani, Abu Abdullah Muhammad bin Ibrahim Al-Hamwi (T.: 733 AH), investigation: Dr. Abdel-Gawad Khalaf, Dar Al-Wafaa - Mansoura, 1, 1990 AD.
• Revealing and clarifying the interpretation of the Qur'an, Abu Ishaq Ahmed bin Muhammad Al-Tha'labi (T.: 427 AH) investigation: Imam Abi Muhammad bin Ashour, review and proofreading: Professor Nazeer Al-Saadi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, 1, 2002 AD.
• Al-Muhtasib in explaining and clarifying the faces of deviant readings, Abu Al-Fath Othman bin Jinni (T.: 392 AH), Ministry of Endowments - Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, 1999 AD.
• The brief editor in the interpretation of the dear book, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib bin Attia (T.: 542 AH), achieved by: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1, 1422 AH.

• The arbitrator and the Great Ocean, Abu Al-Hasan Ali bin Ismail bin Saydah (T.: 458 AH), investigation: Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition 1, 2000 AD.
• Milestones of Downloading in the Interpretation of the Qur'an, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud Al-Baghawi (T.: 510 AH), investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 1, 1420 AH.
• Meanings of the Qur'an, Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad Al-Nahhas (T.: 338 AH), investigated by: Muhammad Ali Al-Sabouni, Umm Al-Qura University - Makkah Al-Marma, 1, 1409 AH.
• Meanings of the Qur'an, Abu Zakaria Yahya bin Ziyad Al-Farra (T.: 207 AH), investigation: Ahmed Youssef Al-Nagati and others, the Egyptian House of Composition and Translation - Egypt, 1st Edition, Dr. T.
• Dictionary of Phonology, d. Muhammad Ali Al-Khouli, Riyadh University Publications, 1st Edition, 1982.
• The Indexed Dictionary of the Words of the Noble Qur'an, Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Al-Hadith, Cairo, 2001.
• Keys to the Unseen, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Fakhr Al-Din Al-Razi (T.: 606 AH), House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 3rd edition, 1420 AH.
• Al-Muftah fi Al-Sarf, Abu Bakr Abdul-Qaher bin Abdul-Rahman Al-Jarjani (T.: 471 AH), investigated by Dr. Ali Tawfiq Al-Hamad, Al-Resala Foundation - Beirut, 1, 1987 AD.
• Vocabulary of the Words of the Qur'an, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Asfahani (T.: 502 AH), investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus Beirut, 1, 1412 AH.
• Language Standards, Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris (T.: 395 AH), investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1979 AD.

Second: Published Researches:

• The significance of the formula (Fa'oul) in the Holy Qur'an, Rajaa Abdul Rahim Khashe', Journal of Educational Studies, Issue Eighteen, April, 2012.